المرجعيات الثقافية في شعر عبد الوهاب البياتي (قراءة نقدية)

by ---- حسين كزار صلال

Submission date: 19-Aug-2025 02:53PM (UTC+0300)
Submission ID: 2372197413
File name: 34-.doc (85.65K)
Word count: 5305
Character count: 25400

المرجعيات الثقافية في شعر عبد الوهاب البياتي
(قراءة نقدية)

الملخص

يتناول هذا البحث المرجعيات الثقافية في شعر عبد الوهاب البياتي ، فيلقي الضوء بشكل اصطلاحي نقدي على ثلاثة مفاهيم أساسية متعلقة بالواسة ، حيث يذكر بإيجاز نشأة عبد الوهاب البياتي في حي شديد الفقر وكيف انعكس ذلك على شخصيته فشبَّ متمردا ثائرا ، وقد وجد في إبداعه الشعري متنفسا موضوعيا وفنيا لهذا التمرد وتلك الثورة ، ثم يوضح البحث موقف البياتي من التراث وأنه كان ينظر إلى التراث من منظور حداثي ويوظفه ليبوء بتأزُّمه على المستويين الفردي والجمعي ، ثم يتطرق البحث إلى مفهوم المرجعية الثقافية التي هي بمثابة التمثيل الفكري للمجتمع بأبعاده المادية والمعنوية والتي أثرت بصنوفها المختلفة في إبداع البياتي ، ثم يلقي البحث – بشكل تفصيلي ومن منظور علم النقد الثقافي – الضوء على المرجعيات الثقافية في شعر عبد الوهاب البياتي ، وحصرها في ثماني مرجعيات ، المرجعية السياسية حيث كان عبد الوهاب البياتي على راية تامة بمعاناة المواطن العربي بصفة عامة ومعاناة المثقف بصفة خاصة ، وبالتحديد منذ مطلع القرن العشرين ، لقد عاش البياتي الانكسارات والعنف والهزائم التي ألقت بظلالها على طبيعة الحياة السياسية وانعكس ذلك في شعره ، ثم يتحدث البحث عن المرجعية الأدبية في شعر البياتي وأنها ظهرت عنده على مستويين (المستوى الرمزي والمستوى الفولكلوري)، ثم يتحدث عن المرجعية الفلسفية والتي استعان البياتي من خلالها برؤى فلسفية مثل مفهوم لوركا عن الحرية وتبلورت فلسفته حول قضيتين أساسيتين (الموت والحرية) ، ثم يتناول البحث استدعاء البياتي للشخصيات التراثية وتوظيفها بنمطيها الجزئي والكلي وأعاد من خلالها تشكيل الحاضر من منظور الماضي ، ثم المرجعية الأسطورية والتي وظف فيها البياتي في شعره تلك الأساطير المتعلقة بالعذاب والغربة ، ويتناول البحث المرجعية التاريخية فوظف شخصيات تاريخية بشكل رمزي مثل شخصية الحسين واستشهاده ، ثم يتناول المرجعية الصوفية التي وظف من خلالها الرموز الصوفية مثل الحلاج ومأساته توظيفا رمزيا ، وأخيرا يتناول البحث المرجعية الاجتماعية حيث استوعب البياتي تفاصيل سلبيات مجتمعه فنقدها وسخر منها ، ويختتم البحث بالنتائج ، وقائمة المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: (المرجعيات الثقافية، عبد الوهاب البياتي).

Cultural References in Abdul Wahhab Al-Bayati's Poetry
(A Critical Reading)

Abstract

This research deals with the cultural references in the poetry of Abdul Wahhab Al-Bayati, shedding light in a critical terminological manner on three basic concepts related to the study, where it briefly mentions Abdul Wahhab Al-Bayati's upbringing in a very poor neighborhood and how this was reflected in his personality, so he grew up a rebel and a revolutionary, and he found in his poetic creativity an objective and artistic outlet for this rebellion and that revolution, then it explains The research examines Al-Bayati's position on heritage and that he viewed heritage from a modernist perspective and employed it to bear its crisis on the individual and collective levels. Then the research addresses the concept of cultural reference, which is like an intellectual representation of society in its material and moral dimensions, which influenced Al-Bayati's creativity with its various types. Then the research sheds light – in detail and from the perspective of cultural criticism – on… On the cultural references in the poetry of Abdul Wahhab Al-Bayati, and limiting them to eight references, the political reference, where Abdul Wahhab Al-Bayati was fully aware of the suffering of the Arab citizen in general and the suffering of the intellectual in particular, specifically since the beginning of the twentieth century, Al-Bayati lived through the setbacks, violence and defeats that cast their shadows on the nature of political life and that was reflected In his poetry, then the research talks about the literary reference in Al-Bayati's poetry and that it appeared in him on two levels (the

symbolic level and the folkloric level), then it talks about the philosophical reference through which Al-Bayati used philosophical visions such as Lorca's concept of freedom and his philosophy crystallized around two basic issues (death and freedom), then the research deals with Al-Bayati's summoning of characters In which Al-Bayati employed in his poetry those myths related to suffering and alienation, and the research deals with the historical reference, so he employed historical figures in a symbolic way, such as the figure of Al-Hussein and his martyrdom. Then it deals with the Sufi reference, through which he employed Sufi symbols, such as Al-Hallaj and his tragedy, in a symbolic way. Finally, the research deals with the social reference, as Al-Bayati absorbed Details of the negative aspects of his society, criticism and ridicule, and the research concludes with the results and a list of sources and references.
Keywords: (Cultural references, Abdul Wahab Al-Bayati).

مصطلحات ومفاهيم :

تتأسس هذه الواسة على محورين أساسيين :

المحور الأول: عبد الوهاب البياتي ((الشاعر المغترب المتمرد الثائر)) :

ولد " عبد الوهاب البياتي في العراق عام 1926 وتعرف على العالم من خلال الحي الفقير الذي عاش فيه بالقرب من مسجد الشيخ عبد القادر الكيلاني وهو حي يعج بالفقراء والمجذوبين والباعة والعمال والمهاجرين من الريف" (ثويف و أحمد، دون تاريخ، صفحة 7)، ولعل هذه النشأة وسط هؤلاء الفقراء هي التي شكلت الفكر الثوري لدى عبد الوهاب البياتي بل وجعلته أكثر اغترابا وتمردا يقول عبد الوهاب البياتي عن نشأته " ومن هنا أستطيع القول إن بذرة التمرد والثورة ولدت معي في هذا الحي الفقير ، وتغذت ببؤسي ودمي وبؤس ، وببؤس ودم معظم الناس" (البياتي، 1999، صفحة 14)، وقد استمر البياتي في تلك الأجواء حتى عام 1944 حيث التحق بكلية دار المعلمين ببغداد والتي كان لها أكبر الأثر في تشكيل وعيه الثقافي ، وكان للتراث الأدبي والديني أثره الكبير في شعر عبد الوهاب البياتي ، وقد أقر هو نفسه بذلك عندما قال : " من الشعراء الذين قرأت لهم باهتمام بالغ ، الجامي وجلال الدين الرومي ، وفريد الدين العطار ، والخيام وطاغور" (البياتي، 1999، صفحة 16) وما يهمنا في هذا المقام إلقاء الضوء البسيط المباشر على المرجعية الثقافية التي أنتجت عبد الوهاب البياتي المغترب المتمرد الثائر ، فاغترابه وتمرده وثورته هي مقومات إبداعه الشعري قاطبا.

والبياتي كان له موقف فريد من التراث ، فهو لا يقبل أن نرفض التراث بل يراه القاعدة والمنطلق الذي يرتكز عليه الإبداع "والبياتي يرى أننا لا يمكننا تحقيق المستقبل إلا بالتفاعل الجدلي الذي يحدث في باطن التراث ، ويرى أن الأصالة من رؤية ثورية هي الواقع ومن بينها التراث ، وكان يرفض من التراث ما يعيق الواقع " (ثويف ف.، 2019، صفحة 145)، وجاء الإبداع الشعري لبعد الوهاب خليطا متجانسا من الغربة والتمرد والثورة ومنها: أباريق مهشمة 1955 بداية التحرر من التوجه الرومانسي – ديوان الذي يأتي ولا يأتي يمثل بداية تجربة التصوف في شعره – كذلك الموت في الحياة وقمر شواز – وتمثل المجموعة الشعرية الأخيرة نصوص شوقية الصادرة عن دار المدى قبل أيام من رحيله عام 1999م خلاصة نهائية لتجربة الشاعر الرائد الذي ظل عطاؤه ممتدا وزاخرا بالحيوية (البياتي، المجموعة الكاملة ، 2000).

" وفي الثالث من أغسطس عام 1999م رحل الشاعر الكبير عبد الوهاب البياتي وتوقف عذب الكلام " (الجنوبي، 2014، صفحة 428).

المحور الثاني: مصطلح المرجعيات الثقافية (من منظور النقد الثقافي):

قبل الخوض في غمار تحديد المرجعيات الثقافية في شعر عبد الوهاب البياتي لابد من تحديد الإطار الاصطلاحي النظري لمصطلح المرجعية الثقافية

المرجعية:

" هي العالم الذي يحيل إليه ملفوظ لغوي علامة منفردة كانت أم تعبيرا مركبا ، ويكون ذلك العالم إما واقعيا موجودا حاضرا ،وإما متخيلا لا يطابق أي واقع خارج التعبير اللغوي ، وهذا يستلزم بالضرورة من يدرك ذلك العالم أو يتمثله، ثم ينتج الدلالات التي يمكن أن يعبر عنها العالم المرجعي المعروض في التعبير ، أي أن مرجعية النص ترجع إلى إما لما هو واقعي له وجوده الحقيقي أو ترجع لما هو متخيل استنادا لخيال المبدع ، ويتقاطع الجميع في كون كلاهما يحمل العديد من الشحنات الدلالية ، فالنص الأدبي يعتبر نسيجا مركبا من الدلالات يصير معه مفهوم المرجع بخلفيته المعجمية واللسانية منطلقا أوليا لمقاربة المرجعية في تجليها النصي الشاسع والمركب باعتبار الجزء مقضيا لكشف الكل وذلك بالتأكيد على أن كل نص أدبي يبني مرجعيته النصية الخاصة انطلاقا من التمازج بين ما هو داخلي في النص وما هو خارجي عنه " (مرتاض، 2005، صفحة 373).

الثقافة :

" هي مجموعة المعطيات التي تميل إلى الظهور بشكل منظم فيما بينها في الزمان والمكان ،وهي بمثابة التمثيل الفكري للمجتمع بأبعاده المادية والمعنوية ...وهي تعاضد بين الفرد والجماعة في العمليات الذهنية الخاصة والجمعية والتي تحكمها عادات وتقاليد وسلوكيات متعارف عليها بين أفراد الجماعة الواحدة والتي هي بمثابة معارف مستقاة من المجتمع تسهم في تكوين الوعي العام " (الغذامي، 2005، صفحة 74).

المرجعيات الثقافية :

ومصطلحا الثقافة والمرجعية مرتبطان بوشائج ساعدت على تعالق أحدهما مع الآخر ، فالمرجعيات الثقافية " هي استحضار الروافد الثقافية المتنوعة كالسياسة والدين والتاريخ والتراث لتحيلها كمرجع لأي نص أدبي إذ تحمل هذه المرجعيات قيمة نصية جمالية للنص الأصلي " (علي، 2013، صفحة 23).

المرجعيات الثقافية في شعر عبد الوهاب البياتي:

إن الشاعر البياتي يقدم لنا قصيدة حداثية معاصرة فيها جملة من المؤثرات العامة والمؤثرات الأيدولوجية والتوجهات الفكرية ساعدت في خلق دلالات قامت بتشييد بناء فني وفكري جديد يعكس واقع اجتماعي وفكري مختلف ،والتأمل النقدي في هذه الدلالات في شعر البياتي يفتح لنا الطريق لمعرفة الخلفيات والمرجعيات الثقافية

التي صدَّر الشاعر عنها نتاجه الشعري ، وكيف أثرت في بلورة مرجعيته الفكرية التي وسمت نصوصه الشعرية وأصبحت علامة بارزة تميز هذا النتاج

المرجعية السياسية (بين الثورة والتمرد):

كان عبد الوهاب البياتي على وراية تامة بمعاناة المواطن العربي بصفة عامة ومعاناة المثقف بصفة خاصة ، وبالتحديد منذ مطلع القرن العشرين ، لقد عاش البياتي الانكسارات والعنف والهزائم التي ألقت بظلالها على طبيعة الحياة السياسية ، فقد استوعب بكل جوارحه المعاناة السياسية لوطنه العراق وما كابده من عدم استقرار في الشارع العراقي بدءا من ثورة العشرين ثم ثورة مايس 1941م ، و1948م ، ثم انتفاضة 1952 حتى قيام ثورة 14 تموز 1958م ، وما صاحبها من سياسة بطش واضطهاد " (المشهداني، 2002، صفحة 207)، كذلك استوعب الواقع القومي العربي " فقد تأثر البياتي بالميلاد المأساوي للعرب والمتمثل في هزيمة العرب 1948م وقيام دولة إسرائيل ، كذلك ما حدث للعرب في هزيمة 5 حيزران 1967م وما نتج عنها من انتكاسة نفسية وعقلية وسياسية " (وفيق، 2002، صفحة 38)، وما كان من البياتي – بعد حالة مستوعة من التأثر والاستيعاب والفهم – إلا أن رفض هذا الواقع وتمرد عليه وانتقده ، لقد سخر البياتي من الحكومات التعسفية وانتقد صور التخلف والبؤس السياسي كاشفا عن الزعة (السادومازوخية) لتلك الحكومات المستبدة والشعوب الراضية الراضخة للظلم ولسياسة العنف والتجويع والتهجير ، وقد لجأ البياتي للسخرية ليجعل المجتمع أمام هذه الظروف التي ربما يكون المجتمع يعيش بغفلة ليحقق لدى المتلقي صدمة أخلاقية ، فعلى المستوى الوطني شخص البياتي الواقع السياسي المتردي للعراق الذي تحكمه عصابة الذئاب إذ يقول في أغنية إلى جمال عبد الناصر :

باسمك في قريتنا النائية الخضراء
في العراق
في وطن المشانق السوداء
والليل والسجون
والموت والضياع
سمعت أبناء أخي باسمك يلهجون
سمعت أبناء أخي القتيل
- **في رصاص**
عصابة الأذناب
في العراق
سمعتهم باسمك يلهجون (البياتي، المجموعة الشعرية الكاملة، 1990، صفحة 207/1)

وعلى الرغم من أن النص إلى جمال عبد الناصر ، إلا أنه قد هيمن عليه مرجعيات الواقع السياسي العراقي ، ففضح ذلك الواقع ،وأخذ يبحث عن المخلص – كنتيجة منطقية لاستيعابه لهذا الواقع السياسي – للقرية الخضراء الباحثة عن الحرية كل هذه الصور تمثل استجابة ثقافية من الشاعر للمرجعيات السياسية للواقع

السياسي، ولما كان بين التمرد والثورة مسافة غير قابلة للإلغاء ، وكان بينهما ترابط عضوي قائم على الوعي الإنساني ، فقد " كان البياتي لا يخشى الإفصاح عن تأثره بأحد الرواد التاريخيين للفلسفة التمردية (**ألبر كامو**) وبخاصة في (الإنسان المتمرد) و(أسطورة سيزيف) كذلك في محاولة كامو تجسيد التمرد على أنه الإنسان في حقيقته الحية " (وفيق، الاستلاب الثوري في شعر البياتي، 1980، صفحة 104)،والتمرد عند البياتي " هو تمرد الشاعر المهموم بالسياسة ، فالتمرد عنده يعطي للحياة قيمتها بل هو الحياة على عكس الانتحار" (الحفني، 1972، صفحة 109)، يقول الشاعر في (**قصيدة الشعر والثورة**) :

يا شعر حطم هذه الأوثان

واقتحم الخطوب

وتعالى نرتاد البحار

ونجتلي نجم الشعوب

أنا ذاهب كي أقرع الأجراس

كي أطأ اللهيب (البياتي، المجموعة الكاملة ، 2000، صفحة 114/2)

إن الثورة في شعر البياتي /وفي فلسفة (ألبر كامو) التي تأثر بها البياتي صورة من صور التمرد ، وهنا يظهر أثر الشعر المعادل الموضوعي للثورة على نماذج التخلف والجهل/ الأوثان، ودعوة لاستنهاض الشعوب في مواجهة الاستعباد

المرجعية الأدبية (بين الرمز والفولكلور):

المرجعية الأدبية : هي " المنطقة التي ينهل منها الأديب موضوعاته ويستقي قضاياه وأفكاره وإرثه الحضاري ...وهي كل ما يوظفه الشاعر أو المبدع ويربط فيه بين أفكاره أو ما يوظفه في نصه وبين ما يستعين به ويحمل دلالات خارجية استعان بها المبدع لتوصين النص" (ياكبسون، 1988، صفحة 114).

والمتأمل في المرجعيات الأدبية في شعر عبد الوهاب البياتي يجد أنها تمحورت حول ثلاث بؤرتين جوهريتين مهمتين :

الأولى : المرجعية الأدبية والرمز الأدبي : تتمثل المرجعية الأدبية في " أثر المصادر الأدبية القديمة على الإبداع الشعري المعاصر ومن الطبيعي أن تكون شخصيات الشعراء من بين الشخصيات الأدبية الألصق بنفوس الشعراء وضمائرهم لأنها عانت التجربة الشعرية ومارست التعبير عنها وكانت هي ضمير عصرها وصوته الآمر الذ أكسبها قوة خاصة على التعبير عن تجربة الشاعر في كل عصر " (ايد، 1997، صفحة 173).

وقد اتجه البياتي بشكل مباشر إلى الشعر القديم ورموزه يستقي منهم تجربته الشعرية ذات النزعة الثورية المتمردة ، ليعيد إنتاجها من جديد ويضع عليها تأثره وبصمته الخاصة ، فاستدعى البياتي عديدا من الشخصيات المعاصرة والقديمة منها ما تمثل قضية سياسية ومنها ما تمثل قضية فكرية ،وأشهر هذه الشخصيات **أبو الطيب المتنبي** ، فوظف البياتي صوته الذاتية في قصيدة **موت المتنبي** من ديوان **النار والكلمات** ليصور من خلالها الجانب الثوري القلق في شخصية المتنبي ، وصراعه ضد السلطة الغاشمة الذي يؤدي إلى موته بطريقة فاجعة ،

والبياتي اعتبر المتنبي وصواعه مع السلطة المتمثلة في كافور الإخشيدي والذي انتهى بمقتله بمثابة قناع يعبر عن الصواع الأبدي مع السلطة والذي أسقط البياتي من خلاله ملامح التلزم المعاصر بين الإنسان العربي المعاصر والسلطة ، وقصيدة البياتي يغلب عليها الأسلوب القصصي فصور قصة حياة المتنبي بطريقة رامية وتأثيرية أي لم يتبن فيها مواقف المتنبي ولم يتكلم من خلال شخصيته.

وفي إحدى مقاطع القصيدة يتحدث الشاعر عن العصر الخراب الذي يمثل الفساد السياسي المجرد في كل زمان وليس زمان المتنبي وحده ، هذا العصر الذي يتطلب الثورة ، فرى الشاعر بعين الثائر المتمرد الطوفان على أبواب المدينة يكتسح الفساد المتمثل في شخص الساسة والتجار يقول البياتي :

(رأى بعين الغيب يا حضرة السقوط والضياع / حوافر الخيول والضباع / تأكل هذه الجيف اللعينة / تكتسح المدينة / تبيد نسل العار والهزيمة / وصانعي الجريمة ... / رأى على أبوابك الطوفان يكتسح الساسة والتجار)
(البياتي، المجموعة الشعرية الكاملة، 1990، صفحة 285/1).

فالبياتي يعيش حياتين ، **حياة تراثية** حافلة بالظلم والقهر عاشها المتنبي كمعادل موضوعي لحياة المبدع في زمن الاستبداد ، وحياة معاصرة تمثل استبدادا آخر بمفاهيم حداثية مؤلمة وتجربة مريرة فيها أيضا ظلم وقهر ، ولما كان الظلم والقهر زائلين والشاعر خالد بقوة روحه وفنه فقد " استعار البياتي صوت المتنبي كمكبر صوتي حديث ليفضي إلينا في هذا العصر بتجربته مع عصره لأن حقيقة السقوط العربي لم تتغير في أساسها ، وهي فساد السلطة ، فإذا كان البياتي لم يتكلم من خلال شخصية المتنبي فإن المتنبي هو الذي يتكلم من خلال البياتي أي أن البياتي قلب التقنية " (صبحي، 1988، صفحة 123)، ويشير البياتي إلى حادث جرى بين المتنبي وابن خالويه في حضرة سيف الدولة ضرب فيه ابن خالويه المتنبي فشج رأسه في إشارة إلى تجسيد فكرة الطغيان بالاتكاء على حدث تاريخي أو واقعة حقيقة في إشارة إلى واقع الشاعر المعاصر الذي ضربه الفساد على رأسه فشجها .

يقول البياتي : **(أنا شجَجْتُ جبهة الشاعر بالدواة / بصُقْتُ في عيونه / سرقْتُ منها النور والحياة)** (البياتي، المجموعة الشعرية الكاملة، 1990، صفحة 174/1)

الثانية : المرجعية الأدبية والموروث الفولكلوري : تمثل " التراث الشعبي الذي اعتمد عليه الأدباء المعاصرون في ثلاثة مصادر : ألف ليلة وليلة ،والسير الشعبية مثل سيرة عنترة بن شداد ، وكتاب كليلة ودمنة" (ايد، 1997، صفحة 152).

ويجسد البياتي – في قصيدة العرب اللاجئون – اللاجئ العربي في شخصية السندباد الذي سُرِقت كنوزه فأصبح حزينا جائعا ومتسولا على الأبواب ، يقول البياتي : **(اللاجئ العربي والإنسان والحرف المبين / رغيف خبز / إن أعواقي تجف وتضحكون / السندباد أنا / كنوزي في قلوب صغاركم / السندباد بزي شحاذ حزين)**
(البياتي، المجموعة الشعرية الكاملة، 1990، صفحة 225/1)

وتعد بغداد من أكثر الأماكن التي نسجت حولها القصص والحكايات ، فقد كانت الفضاء المكاني لكثير من الأحداث التي نسج حولها الشعراء البطولات الخارقة وكذلك الانكسارات المريرة ، وقد حظيت بغداد باهتمام

البياتي لكنه وظفها توظيفا سياسيا ، وفي ديوان نصوص شوقية يجسد الشاعر خوفه على بغداد من المغول وبالتالي خوفه على المدن العربية من مغول العصر الحديث يقول البياتي :

قالت : المغول قادمون / قالت : نعم / فلقدرأيتهم قبل سنوات بعيدة / يقتحمون أسوار المدينة /وها أنا / أراهم الآن يقتحمون أسوار بغداد من جديد (البياتي، المجموعة الشعرية الكاملة، 1990، صفحة 57/1).

ليربط الشاعر بين انكسار بغداد في العصر الماضي وانكسار المدن العربية في العصر الحاضر ، كذلك يربطربطا فنيا آخر بين المغول الذين دمروا بغداد وبين مغول العصر الحديث الذين دمروا مقدرات العرب بالسطوة والفساد ، ليصنع الشاعر نسيجا فنيا يدمج فيه بين التاريخ والسياسية والسير والأحداث على المستوى الجمعي

المرجعية الفلسفية: (بين الموت والحرية) :

هناك قضيتان أساسيتان احتلتا مساحة كبيرة من وجدان البياتي هما **الموت والحرية، والموت والحرية أخطر قضايا العصر ومشاكله الفلسفية** "والبياتي في شعره لا يفصل في انفعاله الموت عن الحياة ،وهو لا يريد أن يموت لأنه يحب الأرض والأطفال والزيتون وكل المسرات ، فالموت شيء كريه للغاية يحيل وجودنا في لحظات إلى بئر سحيقة من الأحزان واللامعنى ، ولكن ليست هذه هي قمة المأساة ، المأساة الحقيقية عند البياتي هي أن نحيا مرغمين في أوحال الفقر ، تنهشنا أنياب العبودية ونفقد قدرتنا على تخطيط مصيرنا واختياره ، قمة المأساة حقا أن يفكر بعض ورثة مخلفات القرون في إغراق العالم في الدماء ، حتى هذه الحياة القصيرة لا يريدون لنا أن نحياها ، وبهذه النظرة المنفعلة المتكاملة للمأساة ، ويستمد من **لوركا** مفهوم الحرية والتي تعني عنده الحياة ، وتعني أن نفكر أحرارا طلقاء في كل المشاكل وحتى في مشكلة الموت الخالدة " (عبد الرحمن، 1965، صفحة 34).

وعبد الوهاب البياتي إذن ليس عدميا وجوديا بل إن الحياة لديه فوق الموت ،والنضال من أجل أن تكون سعيدة مشرقة هو الواجب الذي اعطاه كل قطرة من دمه.

لقد هز أعماق البياتي موت هيمنجواي الذي تغلغل في مأساة الموت صريعا ببندقية صيد ، أي قدر عابث ، أين الغلام ؟ صرخة دامية أطلقها هيمنجواي حينما تلوى الصراي ، ونهشت الجوارح عظام السمكة في أعماق البحر ، لقد صور في – الشيخ والبحر –رحلة الإنسان الرهقة إصراره على سحق الفشل ، ولكن هيمنجواي يرى أن المصير لا يرحم الإنسان ، لقد ماتت كاترين وهي تلد الحياة ، وقد مات هيمنجواي منتحرا أيضًا، ويطرح البياتي عدة تساؤلات : أين الثيران الحقيقية التي صرعته ؟ أين من أغلقوا أسبانيا ؟ ما هو دور الصحف الفاشستية في مقتل هيمنجواي ، هل استوعبت عين البياتي مأساة موت هيمنجواي ؟ هل استوعب ماهية حقيقة الموت في مدريد قتلة لوركا وآلاف الشهداء ؟

يقول البياتي : الموت في مدريد

والدم في الوريد

والبرتقال تحت أقدامك والجليد

أعياد أسبانيا بلا مواكب
أذان أسبانيا بلا حدود
لمن تدق هذه الأجراس ؟
لوركا صامت
والدم في آنية الورود (البياتي، المجموعة الشعرية الكاملة، 1990، صفحة 153/1).

لقد كان الحكم الفاشستي في أسبانيا هو المجرم الحقيقي ، ولقد قال هيمنجوي إن الفاشية كذبة كذبة لا يصدقها إلا المرضى ، وقد شعر البياتي بالتناقض في عمق الأحداث بين الواقع المرير وعبارات الفاشست الرنانة وزخرفة العبارات ، يقول البياتي :

وليل غرناطة تحت قبعات الحرس الأسود والحديد
يموت والأطفال في المهود
يبكون
لوركا صامت
وأنت في مدريد سلاحك الألم (البياتي، المجموعة الشعرية الكاملة، 1990، صفحة 154/1).

إنها مدينة الخراب ، حيث يبكي الأطفال في المهود ،والدم آنية الورود ، وتجلدنا السياط صور تثير القشعريرة دون ألفاظ صعبة أو مركبة ، وتبدو مأساة هيمنجواي في الصمت والدم اللذان هما جوهر فلسفة الموت ، يقول البياتي :

لمن تدق هذه الأجراس
أنت صامت والدم
يخضب السرير ، والغابات والقمم (البياتي، المجموعة الشعرية الكاملة، 1990، صفحة 155/1).

ويوظف البياتي الرمز المجرد للتعبير عن الموت ، فنجده – على سبيل المثال " يرمز بالفراشة إلى روح الميت في معتقدات القدماء ،والروح لا تفنى إنما تظل هائمة بعد فراق الجسد " (الخاقاني، 2013، صفحة 270).

وفي الجزء الثالث من عذاب الحلاج (البياتي، تجربتي الشعرية، 1968، صفحة 41) تظهر في موضع المشبه به لابنة السلطان التي أحبها معجزه ، قول البياتي :

كان يحب ابنة السلطان
يحيا على ضفاف نهر صوتها
وصمتها
لكنها ماتت كما الفراشة البيضاء في الحقول
تموت في الأفول (البياتي، المجموعة الشعرية الكاملة، 1990، صفحة 342/1)

ويمكن أن ترمز ابنة السلطان – الفراشة – إلى الحرية التي تحقق تكامل وجود الإنسان والتي قتلها الفساد والاستبداد ،والحرية عند البياتي فلسفة متكاملة مستمدة من فكر أبطال الأساطير القديمة والسير الشعبية ، فقد علمه الحرف كيف يجوب البحار ، ويشهر سلاح الكلمة في وجه الأعداء يقول البياتي :

إنني أحمل بغداد معي في القلب من دار لدار

أبدا لن يستر الثوب المعار

عوي أهلي

آه من عوي القفار (البياتي، المجموعة الشعرية الكاملة، 1990، صفحة 282/1)

إنها الحرية التي جسدتها كل قصائده الذاتية ووظف فيها رموز التمرد والثورة والفروسية ، فمثلت مرجعيته الثقافية .

استدعاء الشخصيات التراثية (إعادة تشكيل الحاضر من منظور الماضي) :

تعددت أنماط توظيف الشخصية التراثية في الشعر العربي المعاصر " ما بين توظيفها عنصرا في صورة جزئية عارة ، وتوظيفها مقابلا تراثيا موضوعيا لبعد من أبعاد تجربة متعددة الأبعاد تشتمل عليها قصيدة وحدة أو توظيفها إطرا كليا لقصيدة بحيث تكون الشخصية محور القصيدة الذي تدور حوله كل عناصرها " (رايد، 1997، صفحة 219)، وقد مثل استدعاء الشخصيات التراثية إحدى المرجعيات الثقافية المهمة في شعر عبد الوهاب البياتي ، وقد وجدنا عنده الشخصيات التراثية التي جاءت عنده عبر صورة محدودة أو جاءت عنصرا واحدا في قصيدة كاملة مثل شخصية **شهرزاد** في قصيدة **الآفاق** ، وشهرزاد " من الشخصيات المعروفة في الموروث الحكائي العربي ، فهي الفاعل لرئيس في (ألف ليلة وليلة) وصفتها التي عرفت بها أنها أنقذت بنات جنسها من سطوة الموت ، ويمكن أن يكتفى بالإشارة إلى لازمة القصة المشهورة :وأدرك شهرزاد الصباح لتدل عليها وعلى محتواها الرمزي" (الخاقاني، 2013، صفحة 253)،وهذا ما فعله البياتي في قصيدة الآفاق من دون ذكرها يقول البياتي :

سكتت وأدركها الصباح ، وعاد للمقهى الزبن

كالسائل المحروم ، كالحلزون

ينتظر المساء (البياتي، المجموعة الشعرية الكاملة، 1990، صفحة 121/1)

ولا يظهر تصريح آخر لوجودها في القصيدة ، إلا أنها تُحَس متخفية بين طيات أسلوب السرد الذي ينقل النمط الواقعي إلى نمط آخر مجهول ، كذلك وجدنا في شعر البياتي الشخصية التراثية التي تمثل محورا في القصيدة كلها مثل قصيدته " عن الإسكندر الأكبر الذي وظفه كرمز للقوة غير المألوفة ، لكنها تعجز إزاء الموت ، وكأن الموت اتخذه مثلا لغزه ، فقد اختار أكبر فاتح ،وأعتى غازٍ ، لروى غزه سلطته ، فكان وقع موته مخيفا على مخلوقات المشهد الذي يمثل فلسفة خاصة لماهية الموت " (الخاقاني، 2013، صفحة 209)، فيصور

البياتي في إحدى مقاطع القصيدة عندما يتداعى فلا يقع دفعةواحدة ، إنما ينهار جزءا بعد جزء إمعانا في تجسيد المشهدوإظهار العجب منه ، يقول البياتي :

ها هو ذا الإسكندر الأكبر في المرآة

ينام يقظان على جواده رُاه

مبللا بعرق الحمى وعطر الليل

تأكل لحم يده القطط

يتبعه القمر

يحمله الجنود في محفة الموتى على الرماح (البياتي، المجموعة الشعرية الكاملة، 1990، صفحة 136/1)

فنحن أمام مشهد احتفالي ، تشترك فيه مكونات العالم ويحمل في طياته أنواع التضاد الحاد بين النصر والهزيمة والحزن والشعور بالضياع

المرجعية الأسطورية (نتاج للعذاب والغربة):

الأسطورة هي الصورة الأولى للشعر "وقد أجمع نقاد الشعر وعلماء الأساطير كلاهما على أن الشعر كان متصلا بالأسطورة لا باعتبارها قصة خرافية مسلية بل باعتبارها تفسيرا للطبيعة وللتاريخ وللروح وأسرارها ... والأساطير ليست سوى أفكار متنكرة في شكل شعري" (القيسي، دون تاريخ، صفحة 101).

وقد وظف البياتي الأسطورة في شعره توظيفا فكريا فقد " عانى البياتي من العذاب والغربة بأنواعها والنفي معاناة هي – مهما كبرت أو صغرت – صورة من صور معاناة البشر ، ومن معاناة الإنسان في وطنه هذا الإنسان الذي يحاول أن يتخلص من مخلب الوحش العنيد ، ولكي يحقق الشاعر هذا المعنى الوجداني نجده يوظف أسطورة (سيزيف)، حيث تتحدث الأسطورة عن سيزيف أحد أكثر الشخصيات مكرا بحسب الميثولوجيا الإغريقية حيث استطاع أن يخدع إله الموت ثاناتوس مما أغضب كبير الآلهة زيوس فعاقبه بأن يحمل صخرة من أسفل الجبل إلى أعلاه ، فإذا وصل إلى القمة تدحرجت إلى الوادي فيعود إلى رفعها إلى القمة ويظل هكذا إلى الأبد فأصبح رمز العذاب الأبدي (القيسي، دون تاريخ، صفحة 63) مشيرا إلى مأساة وطنه " (يسير، 2014، صفحة 143)، يقول البياتي :

عبثا تحاول – أيها الموتى – الفرار / من مخلب الوحش العنيد

من وحشة المنفى البعيد / الصخرة الصماء للوادي يدحرجها العبيد

(سيزيف) يُبعث من جديد من جديد / في صورة المنفى الشريد (البياتي، المجموعة الشعرية الكاملة، 1990، صفحة 261/1)

إن الشاعر يشير إلى مأساة وطنه والتي دفعت به إلى المنفى ، فنجده يستدعي أسطورة سيزيف ليعبر عما يواجهه الإنسان المعاصر في زمن الاستبداد من آلام وقهر وظلم ، وكأنه يقول إن مأساة الإنسان المعاصر ما هي إلا امتداد طبيعي لمأساة سيزيف ومعاناته ، فالمعاناة على إطلاقها السياسي والاجتماعي ما هي إلا

صخرة يدحوجها عبيد هذا العصر ،وهنا تأتي أسطورة سيزيف لتحتضن هذه المعاناة ولتجعلها امتدادا لبحث الإنسان قديما وحديثا عن الأمل وعن مخرج من المعاناة .

المرجعية التاريخية (بين السياق والدلالة):

المرجعية التاريخية في الشعر العربي المعاصر هي " الأحداث التاريخية والشخصيات التاريخية التي هي ليست مجرد ظواهر كونية عارية تنتهي بانتهاء وجودها الواقعي ، فإن لها إلى جانب ذلك دلالتها الشمولية الباقية والقابلة للتجدد – على امتداد التاريخ – في صيغ وأشكال أخرى " (ايد، 1997، صفحة 120)، وقد كان التاريخ أحد أهم المرجعيات التي استقى منها البياتي رؤاه الشعرية ، وقد حملت الشخصيات التاريخية عنده دلالات رمزية في سياقاتها التاريخية بعد توظيفها توظفا معاصرا " فقد حملت الشخصيات التاريخية الرمزية في سياقها الشعري – عند البياتي – ملامح الشخصي والعام والفردي والجمعي بحيث يحلو لها وجودها الرمزي ، ومن ثم كان لها تأثرها الشعري " (إسماعيل، 1981، صفحة 67)، وقد استدعى البياتي من الرموز التاريخية في قصيدته رمز الحسين حين قال :

ويحي على العراق
تحت سماء صيفه الحمراء
من قبل ألف سنة يرتفع البكاء
حزنا على شهيد كربلاء
ولم يزل على الفرات دمه العراق
يصبغ وجه الماء والنخيل في المساء (البياتي، المجموعة الشعرية الكاملة، 1990، صفحة 135/1)

لقد اتخذ البياتي أكثر الرموز التاريخية التصاقا به وبوطنه أرضا وشعبا ، حيث العراق مكان مقتل الحسين في الماضي وهي مقبرة المظلومين في الحاضر ، فرأس الحسين التي سقطت ظلما وغدرا ترمز إلى التضحية والاستشهاد لأصحاب المبادئ النبيلة ، فدمه الطاهر سيحقق لقضيته الانتصار والخلود ، فالحسين ظهر عند البياتي باعتباره رمز لكل إنسان يناضل من أجل قضيته حتى الموت لأن في موت صاحب الحق خلودا له وخلودا لغيره على المدى البعيد (العبادي، 2022، صفحة 441).

فالبياتي عن طريق الحسين وإسقاط قضيته على الأحداث المعاصرة يقاوم ويناضل بالكلمة والرمز التاريخي ، فكأنه يريد أن يقول حتى وإن ظفر الموت بالنضال والمناضلين فالحق لن يموت أبدا وسينتصر في النهاية

7المرجعية الصوفية (توظيف الرمز الصوفي):

كان " التراث الصوفي واحدا من أهم المصادر التراثية التي استمد منها شاعرنا المعاصر شخصيات وأصواتا يعبر من خلالها عن أبعاد من تجربته بشتى جوانبها الفكرية والروحية ... وحتى السياسية والاجتماعية "

(رايد، 1997، صفحة 105)، وقد استخدم البياتي عددا من الرموز الصوفية التي تنتمي إلى أزمان مختلفة وأقطار شتى وكان من نتيجة ذلك أن ظهرت ملامح الخطاب الصوفي لتهيمن على أدوات التبصير لدى البياتي بحكم حركة الشخصيات ومقولاتها المثبتة في النصوص ، فتأثر البياتي بآراء المتصوفة بشأن الحرية الحقيقية ونبذ القيود وترك التكلف ومن الرموز الصوفية التي لجأ إليها البياتي بشكل مباشر شخصية **الحلاج** ، وقد اشتهر الحلاج بقول الحق ، فدفع حياته ثمنا لذلك ، وقد عرف رمزا لهذه الصفة حتى كثر استعماله في الشعر الحديث من هذا المنطلق ، وللبياتي نصوص عديدة وظف فيها شخصية الحلاج من أشهرها (عذاب الحلاج) وفيها عرض لما تعرض له الحلاج من ظلم من سلاطين زمانه ، والشاعر ركز على الجانب المأساوي في حياة الحلاج والمتمثل فيما تعرض له من عذاب من أهل الدين والدنيا ، ومن بين دفقات الشر أبصر الحق ، ومن بين رموز الزور والباطل حقق الوصول وبلغ أقصى درجات العشق .

إن البياتي يعاني الحيرة التي لازمته في مواجهة الواقع المرير ولعل هذه الحيرة كانت دافعه لاستدعاء شخصية الحلاج ليواجه بها آلام السطوة والاستبداد يقول البياتي :

سقطت في العتمة والفراغ
تلطخت روحك بالأصباغ
شربت من آبارهم
أصابك الدوار
صمتك بيت العنكبوت
وها أنا أراك في ضواعة البكاء
في هيكل النور غريق صامت تكلم المساء (البياتي، المجموعة الشعرية الكاملة، 1990، صفحة 41/1)

وهنا نجد البياتي يعنف الحلاج نفسه على سكوته أمام الظلم وكأنه يستمد منه طاقات المقاومة والصمود ، ونجد البياتي يقتبس بعضا من شعر البياتي عن الحيرة وعشق المحبوب لدرجة السكر ، يقول البياتي :

يا مسكوي في حبه
يا مغلق الأبواب (البياتي، المجموعة الكاملة ، 2000، صفحة 10/2)

وهو في ذلك يصدر عن قول الحلاج الشهير (يا من أسكوني بحبه وحيوني في ميادين قربه).

المرجعية الاجتماعية (بين الاستيعاب والتمرد):

إن النص الأدبي ينشأ نتيجة استيعاب الأديب أو المبدع للمنظومة الاجتماعية التي ينتمي إليها " فالأدب يعبر عن المجتمع ويعكس ما فيه من ظواهر وقيم وأخلاق ، والأديب عندما يعبر عن أفكاره ومشاعره فإنه لا يعبر عن تلك الأفكار والمشاعر في عزلة عن الواقع الاجتماعي المحيط به " (ويليك و وارين، 1992، صفحة 131)، وقد أدرك البياتي أبعاد أزمة مجتمعه من فقر وفوارق طبقية ، فغلبت على شعره روح النضال والتمرد ، ففي ديوانه (ملائكة وشياطين) نجد الشاعر يسخر من المجتمع ومن قيمه السلبية ، فقد تجرد من القيم وشاع فيه النفاق والكذب ، وتسلط القوي على الضعيف، يقول البياتي :

فيم يصوغ الكذب أحرفها
ويفوح من ألفاظها العفن
العار يأنف أن يصافحها
وتعفها الديدان والدمن
أقزامها أشباح مهزلة
عوي يعيد فصولها الزمن
والسوط والحرمان في يده
والخمر والأهار والكفن (البياتي، المجموعة الشعرية الكاملة، 1990، صفحة 67/1)

إن البياتي قد استوعب تأزم مجتمعه المجرد من القيم والذي تنطلق منه أصوات الكذب وروائح العفن ، والشاعر يسحق المجتمع عندما يجعل من قيمه السلبية أدنى من العار ، فهذا المجتمع تحكمه ديكتاتورية الأغنياء الذين سلطوا سوطهم على الفقراء ،وعلى الرغم من أن المرجعية الاجتماعية التي اتكأ عليها البياتي في رسم المشهد إلا أن تعاطيه مع تلك المرجعية جاء شديد الواقعية

النتائج :

وقد توصلت الدراسة إلى هذه النتائج :

1- نشأة البياتي الفقيرة جعلته شديد التمرد على الواقع المرير على المستوى الفردي ثم على المستوى الجمعي
2- والبياتي كان له موقف فريد من التراث ، فهو لا يقبل أن نرفض التراث بل يراه القاعدة والمنطلق الذي يرتكز عليه الإبداع
3- المرجعية الثقافية : هي استحضار الروافد الثقافية المتنوعة كالسياسة والدين والتاريخ والتراث لتحيلها كمرجع لأي نص أدبي إذ تحمل هذه المرجعيات قيمة نصية جمالية للنص الأصلي
4- البياتي يقدم لنا قصيدة حداثية معاصرة فيها جملة من المؤثرات العامة والمؤثرات الأيدولوجية والتوجهات الفكرية ساعدت في خلق دلالات قامت بتشييد بناء فني وفكري جديد يعكس واقع اجتماعي وفكري مختلف ،والتأمل النقدي في هذه الدلالات في شعر البياتي يفتح لنا الطريق لمعرفة الخلفيات والمرجعيات الثقافية التي صدَّر الشاعر عنها نتاجه الشعري
5- تأثر شعر البياتي بالمرجعيات السياسية بشكل مباشر فقد استوعب بكل جوارحه المعاناة السياسية لوطنه العراق وما كابده من عدم استقرار في الشارع العراقي بدءا من ثورة العشرين ثم ثورة مايس 1941م ، و1948م ، ثم انتفاضة 1952 حتى قيام ثورة 14 تموز 1958م ، وما صاحبها من سياسة بطش واضطهاد " كذلك استوعب الواقع القومي العربي " فقد تأثر البياتي بالميلاد المأساوي للعرب والمتمثل في هزيمة العرب 1948م وقيام دولة إسرائيل ، كذلك ما حدث للعرب في هزيمة 5 حزيران 1967م وما نتج عنها من انتكاسة نفسية وعقلية وسياسية

6- والمتأمل في المرجعيات الأدبية في شعر عبد الوهاب البياتي يجد أنها تمحورت حول بؤرتين جوهريتين مهمتين :

7- الأولى : المرجعية الأدبية والرمز الأدبي : تتمثل المرجعية الأدبية في " أثر المصادر الأدبية القديمة على الإبداع الشعري المعاصر ومن الطبيعي أن تكون شخصيات الشعراء من بين الشخصيات الأدبية الألصق بنفوس الشعراء و الثانية : المرجعية الأدبية والموروث الفولكلوري : تمثلت في " التراث الشعبي الذي اعتمد عليه الشاعر ووظفه توظيفا رمزيا عميقا

8- تأثر شعر البياتي بمرجعيات فلسفية وكان مشغولا بقضيتين فلسفيتين أساسيتين هما الموت والحرية

9- مثل استدعاء الشخصيات التراثية إحدى المرجعيات الثقافية المهمة في شعر عبد الوهاب البياتي ، وقد وجدنا عنده الشخصيات التراثية التي جاءت عنده عبر صورة محدودة كذلك وجدنا في شعر البياتي الشخصية التراثية التي تمثل محورا في القصيدة كلها

10- وظف البياتي الأسطورة في شعره توظيفا فكريا فقد عانى البياتي من العذاب والغربة بأنواعها والنفي معاناة هي – مهما كبرت أو صغرت – صورة من صور معاناة البشر ، وقد ظهرت تلك المعاناة انطلاقا من توظيف الأسطورة عنده ظهورا واضحا

11- كان التاريخ أحد أهم المرجعيات التي استقى منها البياتي رؤاه الشعرية، وقد حملت الشخصيات التاريخية عنده دلالات رمزية في سياقاتها التاريخية بعد توظيفها توظفا معاصرا

12- كان التراث الصوفي واحدا من أهم المصادر التراثية التي استمد منها البياتي المعاصر شخصيات وأصواتا يعبر من خلالها عن أبعاد من تجربته بشتى جوانبها الفكرية والروحية ...وحتى السياسية والاجتماعية

13- أدرك البياتي أبعاد أزمة مجتمعه من فقر وفوارق طبقية، فغلبت على شعره روح النضال والتمرد لذلك نستطيع الحكم على شعره أنه كان متأثرا بمرجعيات اجتماعية

المرجعيات الثقافية في شعر عبد الوهاب البياتي (قراءة نقدية)

ORIGINALITY REPORT

2%	2%	0%	1%
SIMILARITY INDEX	INTERNET SOURCES	PUBLICATIONS	STUDENT PAPERS

PRIMARY SOURCES

1	baytalqaseed.com Internet Source	1%
2	cors.archive.org Internet Source	1%
3	www.aldiwan.net Internet Source	1%

Exclude quotes	On	Exclude matches	< 1%
Exclude bibliography	On		